

الأدلة الواضحات في بيان أن الوباء والعقوبات ترفع بطاعة الله وترك المعاصي والخطيئات

خطبة جمعة ألقاها

أبو عبد الرحمن مرشاد بن أحمد الضالعي

وفقه الله وهداه وسدداه

كانت هذه الخطبة في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع

بنامريخ ٢٢ رمضان ١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إننا في أيامنا هذه، في ختام هذا الشهر المبارك، في هذه الأيام والليالي الفاضلة التي فضّلها على غيرها من الأيام والليالي، وجعل فيها ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، أي أكثر من ثمانين سنة خالية من ليلة القدر، فهي خير من عُمر إنسان معمر طویل العمر.

فَصَّلَ اللهُ هَذِهِ اللَّيَالِي بِهَذِهِ اللَّيْلَةِ الَّتِي سَمَّيْتَ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ، لِمَا لَهَا مِنَ الْقَدْرِ الْعَالِي وَالْمَنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ، وَلِمَا جَعَلَ اللهُ فِيهَا مِنَ الْفَضْلِ الْكَثِيرِ، وَأَيْضًا لِمَا يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ التَّقْدِيرِ لِلْأُمُورِ الَّتِي تَكُونُ فِي السَّنَةِ الْقَادِمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَغْلَ مَا بَقِيَ مِنْ أَيَّامِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فِي دَعَاءِ اللهِ، وَفِي الْإِكْتِثَارِ مِنْ عِبَادَتِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ سَبَبٌ لِحُلُولِ الْخَيْرِ، وَرَفْعِ الْبَلَاءِ وَالشَّدَةِ، وَأَيْضًا هُوَ سَبَبٌ فِي حَصُولِ الرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْحَيَاةِ الطَّيْبَةِ، فَمَا طَابَتِ الْحَيَاةُ وَلَا هَنِئَ الْعَيْشُ وَلَا رُفِعَ الْبَلَاءُ وَلَا عُمرتِ الدِّيارُ بِالنَّعْمِ بِمِثْلِ طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ». فَطَاعَةُ اللهِ تَعْمُرُ الدِّيَارَ بِالْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، تَعْمُرُ الْأَرْضَ وَالْبُلْدَانَ بِالنَّعْمِ، تُصِيرُ الْبُلْدَانَ بِطَاعَةِ اللهِ مَمْلُوءَةً بِكُلِّ خَيْرٍ، بِخِلَافِ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ فَإِنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ وَتُحِلُّ مَكَانَهَا النِّقَمَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

وهكذا تُعمّر الديار وتُرفع العقوبات بالتوبة الصادقة، والرجوع إلى الله جل وعلا، فانظروا إلى نبي الله يونس -عليه الصلاة والسلام- لما غاضب قومه حين لم يؤمنوا به، وكانوا أكثر من مائة ألف، كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، ومع ذلك لما غاضبهم نبيهم وخرج من بين أظهرهم، ورأوا العذاب قد انعقدت أسبابه وعاینوا إقباله، راجعوا أنفسهم وتابوا إلى الله، فرفع الله عنهم البلاء وأذهب عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ فبطاعة الله والتوبة الصادقة يحصل الخير للعباد، وتُرفع عنهم العقوبات، ويحصل لهم العيش الطيب الهنيء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. فمن عمل صالحاً في هذه الحياة الدنيا، كتب الله تعالى له الحياة الطيبة، كتب الله تعالى له السعادة، كتب الله تعالى له الخير، جعل حياته عامرة بالخيرات، كل ذلك بطاعة الله سبحانه وتعالى.

فالبلَاء النازل بالعباد اليوم الذي يشكون منه، ويخافون منه، سببه التفریط في طاعة الله وسببه فعل معصية الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. فالمصائب هي بكسب العباد، وقال

سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. فالحكمة من ذلك أن الله يبتلي العباد إذا حصل منهم الإعراض عن طاعته، والإسراع في معصيته، يبتليهم بالشدائد ليرجعوا إليه ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ أي في الدنيا ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فالقصد هو رجوع العباد إلى الله، فالله لا يبتلي عباده ليهلكهم ويمحقهم بل هو أرحم بهم سبحانه، ولكنهم يبتليهم إذا رأى أعراضهم عنه ليعودوا إليه ويرجعوا.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. فالبلاء لأجل أن يرجع العباد إلى الله سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾. فهلاً استكان العباد، وهلاً تابوا، وهلاً رجعوا إلى الله، فإن الله يحب عباده المؤمنين، ويحب قربهم منه، فمتى رأى منهم الإعراض عنه، والبعد عن طاعته، ابتلاهم لأجل أن يردّهم إليه، وما ذاك إلا لحُبّه لهم.

أيها الناس: إن المعاصي سبب لحلول الأوبئة والنكبات قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ

تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي
لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا....».

فما يصيب العباد هو بذنوبهم، وعكس ذلك طاعة الله سبب الخير، طاعة الله سبب
الطمأنينة والراحة، طاعة الله سبب الصحة والعافية، طاعة الله سبب رغد العيش،
طاعة الله سبب كل خير يناله العبد في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أقول ما سمعتم
والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ
لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ». وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «وَاعْلَمُ أَنَّ
الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ
اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ
الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

فكل شيء بقدر الله، والأمر أولاً وآخرأً لله جل وعلا، والأمور بيده يتصرف في خلقه كما يشاء، على ما تقتضيه حكمته العظيمة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ فنحن جميعاً عبيدٌ لله مملوكون له، يحكم الله في عبيده وفي مملوكيه بما يشاء سبحانه وبما تقتضيه حكمته.

وليس الشأن هو حصول بلاء أو وباء أو مرض، ولكن الشأن كيف يتعامل الإنسان مع ذلك بمعاملة شرعية؟ كيف يطيع الله جل وعلا في حال الضراء وفي حال السراء؟ كيف يكون على طاعة الله في كل شأنه؟ فقم بطاعة الله أيها العبد المؤمن، قم بعبادة الله، وطاعة الله فيها الخير الكثير، طاعة الله فيها السلامة من كل الآفات، طاعة الله فيها كل نفع للعباد.

ما من أمة أطاعت الله إلا ومنتعها الله سبحانه أحسن المتاع، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، وقال هود عليه الصلاة والسلام يخاطب قومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾، وقال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

فطاعة الله، والتوبة إليه، والاستغفار سبب لحلول الخيرات، وسبب لرفع البلاء والمضرات عن العباد في هذه الحياة الدنيا، سبب لازدياد القوة، وحصول المتاع الحسن.

وهكذا على العبد في مثل هذه الأوضاع، أن يضرع إلى الله سبحانه، ويجتهد في سؤال الله جل وعلا العافية، ويكثر من الدعاء فإن الأمر بيد الله، وهو قادر على تغيير الحال بلمحة بصر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾.

ولذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم يكثر من دعاء الله بالعافية، ويسأل ذلك، ويحث عليه، ويرغب فيه، فمن ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ». فيستعيز بمعافاة الله التي هي صفة من صفاته من عقوبته.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ». فيستعيز بالله من البلاء المجهد.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجَذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللَّهَ الْمُعَافَاةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُوْت أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْمُعَافَاةِ».

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه حين قَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»، قَالَ الْعَبَّاسُ: فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهُ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

وغير ذلك كثير مما كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو الله جل وعلا به، ويسأل الله جل وعلا إياه، فاضرع إلى الله، في هذه الأيام الفاضلة والليالي المباركة، اضرع فيها إلى الله جل وعلا، وكن واثقاً بالله معتمداً عليه متوكلاً عليه، اعمل بطاعة الله جل وعلا، وما قدره الله سيمضيه.

وهكذا على العبد أن يعمل بالأسباب المشروعة التي تُجَنِّبُه البلاء، والتي تُجَنِّبُه البلاء، والتي قد تكون سبباً في دفع كثير من الأضرار عن المسلمين.

وإن من الأسباب العظيمة في رفع الوباء والبلاء أسباباً خَفِيَتْ على كثير من الناس، وهي من أعظم ما يكون من الأسباب في رفع البلاء، فمن ذلك ما تقدّم ذكره من الدعاء لله وطاعته وكثرة ذكره ودعائه، ومن ذلك أيضاً الصدقة، والسعي في نفع الناس، والحرص على قضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم، فكل ذلك سبب لتفريج الكربات، ولرفع الضيق والشدائد عن العباد، ولرفع الوباء والبلاء عنهم، وهذه أمور لا يفتن لها إلا من أراد الله جل وعلا به خيراً، وأكثر الناس نظرهم إلى الأمور الحسّية، وغابت عنهم هذه الأمور العظيمة التي هي سبب في رفع كل ضرر عن الناس.

نسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا وأهلينا وأموالنا.

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحوّل عافيتك، ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أذل الكفر والكافرين.

اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين .

ملحق:

هذا الملحق فيه فائدة في بيان تأثير الطاعات ولا سيما الصدقات في رفع البلاء وشفاء الأمراض.

قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (٤/ ١٠-١١): بَلْ هَاهُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ وَأَقْسِئَتْهُمْ، مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالرُّوحَانِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ، وَالْإِنْطِرَاحِ وَالْإِنْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَالصَّدَقَةِ، وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّفْرِيجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الْأُمَمُ عَلَى اخْتِلَافِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا، فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأثيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَا تَجَرِبَتُهُ، وَلَا قِيَاسُهُ، وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا مِنْ هَذَا أُمُورًا كَثِيرَةً، وَرَأَيْنَاهَا تَفْعَلُ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَدْوِيَةُ الْحَسِيَّةُ. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله أيضا في الوابل الصَّيِّب ص (٣١): فَإِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأثيراً عَجيباً فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ مِنْ كَافِرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعاً مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَتَهُمْ وَعَامَتَهُمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مُقَرَّرُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ.

وقال المناوي رحمه الله في فيض القدير (٣/ ٥١٥): أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمداواة المرضى بالصدقة (١)، ونبه بها على بقية أخواتها من القرب، كإغاثة ملهوف، وإغاثة مكروب، وقد جرب ذلك الموفقون فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية.

وفي كتاب شعب الإيمان للبيهقي رحمه الله (٣٢٨١) عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ رحمه الله قَالَ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ عَنِ الرَّجُلِ الظُّلْمَ.

وأخرجه البيهقي أيضا في الشعب (٣٠٨١) من طريق أخرى بلفظ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الرَّجُلَ الظُّلْمَ إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ دَفَعَ عَنْهُ.

قلت: وقد وقعت وقائع كثيرة تؤيد ما سبق وتدل عليه فمن ذلك:

ما جاء في كتاب شعب الإيمان للبيهقي: (٥/ ٦٩) (٣١٠٩) قَالَ رحمه الله: أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعَدَّلُ الْمُرُوزِيُّ، حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ الْجَرَّاحِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قُرْحَةٌ خَرَجَتْ فِي رُكْبَتِي

(١) يشير رحمه الله إلى حديث: «داووا مرضاكم بالصدقة». قلت: وهو حديث ضعيف روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم من طرق كلها شديدة الضعف، وأحسن ما في الباب مرسل عن الحسن البصري رحمه الله.

مُنْذُ سَبْعِ سِنِينَ، وَقَدْ عَاجَلْتُ بِأَنْوَاعِ الْعِلَاجِ، وَسَأَلْتُ الْأَطِبَّاءَ فَلَمْ أُنْتَفِعْ بِهِ، قَالَ:
اذهُبْ فَانْظُرْ مَوْضِعًا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَى الْمَاءِ فَاحْفَرْ هُنَاكَ بُئْرًا، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَنْبَعَ
هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكَ عَنْكَ الدَّمُ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِيءَ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَفِي هَذَا الْمَعْنَى حِكَايَةُ قُرْحَةٍ شَيْخِنَا الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ قَرِحَ وَجْهُهُ وَعَاجَلَهُ بِأَنْوَاعِ الْمُعَالَجَةِ فَلَمْ يَذْهَبْ وَبَقِيَ فِيهِ قَرِيْبًا مِنْ
سَنَةٍ، فَسَأَلَ الْأُسْتَاذَ الْإِمَامَ أَبَا عُثْمَانَ الصَّابُورِيَّ أَنْ يَدْعُو لَهُ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
فَدَعَا لَهُ، وَكَثَّرَ النَّاسُ فِي التَّأْمِينِ، فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى أَلْقَتِ امْرَأَةٌ فِي
الْمَجْلِسِ رُقْعَةً بِأَمْتِهَا عَادَتْ إِلَى بَيْتِهَا، وَاجْتَهَدَتْ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَرَأَتْ فِي مَنَامِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّهُ يَقُولُ لَهَا: قُولُوا
لَأبي عَبْدِ اللَّهِ: يُوسِّعُ الْمَاءَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَجِئْتُ بِالرُّقْعَةِ إِلَى الْحَاكِمِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
فَأَمَرَ بِسِقَايَةِ الْمَاءِ بُنِيَتْ عَلَى بَابِ دَارِهِ وَحِينَ فَرَعُوا مِنَ الْبِنَاءِ أَمَرَ بِصَبِّ الْمَاءِ فِيهَا
وَطُرِحَ الْجَمْدَ (يعني الثلج) فِي الْمَاءِ، وَأَخَذَ النَّاسُ فِي الشُّرْبِ فَمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُسْبُوعٌ
حَتَّى ظَهَرَ الشِّفَاءُ، وَزَالَتْ تِلْكَ الْقُرُوحُ، وَعَادَ وَجْهُهُ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ، وَعَاشَ
بَعْدَ ذَلِكَ سِنِينَ.

وفي معجم السفر لأبي طاهر السلفي (٨٢٧) قال رحمه الله: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ
أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ الْكَاتِبَ الْمِيزَنِيَّ بِدِمَشْقَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الْحَبَّازِيَّ
بَنِيْسَابُورَ يَقُولُ مَرَضْتُ مَرَضًا خَطَرًا فَرَأَنِي جَارِي صَالِحٌ فَقَالَ اسْتَعْمِلْ قَوْلَ رَسُولِ

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ» وَكَانَ الْوَقْتُ صَيْفًا فَاشْتَرَيْتُ
بِطِّيخًا كَثِيرًا وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالصَّبِيَّانِ فَأَكَلُوا وَرَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى اللهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَدَعَوْا لِي بِالشِّفَاءِ فَوَاللهِ مَا أَصْبَحْتُ إِلَّا وَأَنَا فِي كُلِّ عَافِيَةٍ مِنَ اللهِ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى.

كتبه / أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

ليلة الأحد ٢٤ رمضان ١٤٤١هـ

في دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية بالضالع